﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ٦٦﴾ [الحج: 66]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الإيجاد والإفناء باعثان على التسليم والارعواء

لمّا بيَّن سبحانه جملةً مِن أُسس الدين، وأتبعها بذكر ولايته ونصرته لعباده الصالحين؛ بعثًا على التمسُّك بالحقِّ المبين، وترغيبًا في منابذة المعاندين، ولمّا بيَّن ما له من تمام القدرة والتصرُّف في خلق السماوات والأرضين؛ إنعامًا منه سبحانه وتفضُّلًا لنفع الآدميين؛ نبَّه سبحانه إلى أنَّه المنعم بالإيجاد في هذا الوجود، القادر على الإفناء المقرِّب للموعود؛ المحيي بعد ذلك؛ إيذانًا بالبعث والخلود، ولمّا كان الإنسان كثير الكفران والجحود؛ حذَّره سبحانه منه ليتجنَّبه ويسلك سبيل الهداية ليبلغ الغاية ويحقِّق المقصود[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَكَفُورٞ﴾: (كفر) أصلٌ يدلُّ على السَّتر والتَّغطية[2]، والكُفر في اللُّغة: سَتر الشَّيء، ووصف اللَّيل بالكافر لستره الأشياء بظلامه[3]، وكُفْر النِّعمة وكُفرانُها: سَترُها وجَحدُها بترك أداء شكرها، وهو ضدُّ الشُّكر، قال الله تعالى: ﴿فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ﴾ [الأنبياء: 94][4]، وكَفَر نِعْمَة الله يكفُرُها كُفورًا وكُفْرانًا[5].

وأعظم الكفر: جحود الوحدانيَّة أو الشَّريعة أو النُّبوة[6]، وسُمّي

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/ 248، والنسفي، مدارك التنزيل: 2/ 452، وأبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 534، والبقاعي، نظم الدرر: 13/ 86، والمراغي، تفسير القرآن: 17/ 138.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كفر).

(3) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (كفر).

(4) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (كفر).

(5) الجوهري، صحاح اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (كفر).

(6) الراغب، المفردات: (كفر).

الكافر كافرًا؛ لأنَّه ستر نعمة الله وغطّاها لما أبى وردَّ التَّوحيدَ الذي دعاه إليه، فكان بذلك ساترًا ومغطّيًا لهذه النِّعمة بإبائه الحق[1]، والكُفران ضدُّ الإيمان، والكَفور والكَفّار: المبالغ في كفران النِّعمة[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

من مظاهر قدرة الله القاهرة إحياؤه النّاس للجزاء والحساب في الدّار الآخرة

يمتنُّ الله تعالى على عباده في هذه الآية الكريمة فيقول سبحانه مذكِّرًا إيّاهم بنعمه الظّاهرة، ودلائل وحدانيّته الباهرة: وهو الَّذي أنشأكم أيُّها النّاس مِنْ عدم دون أنْ تكونوا شيئًا، ثم يتوفّاكم بقدرته عند انقضاء آجالكم وأعماركم، ثم يحييكم يوم القيامة للثَّواب والعقاب، إنَّ الإنسان لَجَحودٌ لِنِعَم الله عليه، مُنكِرٌ لدلائل فضله وإحسانه إليه[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ﴾:

أتمَّ الله نعمته على خلقه، ولم يقم أكثرهم بواجبه وحقِّه

الواو في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ هي العاطفة، فقد عطفت جملة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ على جملة ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ﴾[4]؛ لأنَّ صدر هذه من جملة النِّعم فناسب أن تعطف على سابقتها المتضمِّنة امتنانًا واستدلالًا كذلك[5].

وقد حسَّن الوصلَ هنا ما بين الجملتين الكريمتين من التَّلاؤم والتَّناسب؛ إذ المعنى: أنَّ الله الذي أنعم عليكم هذه النِّعم من إنزال الماء من السَّماء فتصبح الأرض مخضرَّة بعد أن كانت يابسة، وتسخير ما في الأرض للإنسان، وتسخير الفُلك لخدمته ومنفعته، وإمساك السَّماء أن تقع على الأرض إلّا بمشيئته تعالى، هو الذي

(1) الأزهري، تهذيب اللغة: (كفر).
(2) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (كفر).
(3) البغوي، معالم التنزيل: 5/ 398، والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، تفسير المنتخب، ص: 498.
(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 5021.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 326.

جعل لكم أجسامًا أحياء بحياةٍ أحدثها فيكم، ولم تكونوا شيئًا، ثمَّ هو يميتكم من بعد حياتكم فيفنيكم عند مجيء آجالكم، ثمَّ يحييكم بعد مماتكم عند بعثكم لقيام السّاعة[1]، فقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاكُمۡ﴾؛ أي: عن الجماديَّة بعد أن أوجدكم من العدم بعد أن لم تكونوا شيئًا، منَّة منه عليكم مستقلَّة، لزم منها المنَّة بما تقدَّم ذكره من المنافع الدُّنيويَّة لتستمرَّ حياتُكم أوَّلًا، الدّينيَّة لتنتفعوا بالبقاء ثانيًا[2]؛ أي أوجدكم من العدم لتسعدوا أو تشقوا، فكلٌّ من الإحياء الأوَّل والثّاني، إمّا نعمة أو نقمة[3].

غرض التّعبير بالضّمير (هو) عن لفظ الجلالة بعد أن تقدّم إظهاره:

الله الذي أسبغ النِّعم هو الذي أحيا من العدم

عُبِّر بالضَّمير المنفصل (هوَ) العائد على لفظ الجلالة بعد إظهاره في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؛ جريًا على الأصل؛ إذ الأصل أن يأتي الظّاهر أوَّلًا ثمَّ المضمر.

وقد حقَّق هذا نكتة بديعة، وهي أنَّ الإضمار في هذا الموضع أفاد معنى أنَّ الله الذي سخَّر لكم ما في الأرض، وسخَّر لكم الفُلك هو نفسه الذي أحياكم بعد أن لم تكونوا شيئًا لتنعموا بهذه النِّعم، فكيف تنعمون بخيره وتعبدون غيره؟! وكيف تُقِرّون بالرُّبوبيَّة وتكفرون بالألوهيَّة والرَّب هو نفسه الإله الحقُّ؟! ألا ساء ما تحكمون!

فائدة التّعبير بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ وصلته:

التَّعريف في سياق المدح يفيد التَّعظيم

في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاكُمۡ﴾ عُبِّر باسم الموصول ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ لإفادة معنى التَّعظيم؛ إذ هو تعريف في سياق المدح، كما أنَّ اتِّصافه بما تضمَّنته صلته من وصفٍ عظيم يدلُّ على أنَّه عظيم،

(1) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 678، وطنطاوي، الوسيط: 9/ 337.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 86.
(3) الصاوي، حاشية على الجلالين: 3/ 109.

وأيضًا لقَصر مدلول الصِّلة عليه؛ إذ لا أحد يُحيي ويميت إلّا اللّه الحيُّ الذي لا يموت[1].

ومعنى الكلام: كيف تجعلون مع اللّه أندادًا وتعبدون معه غيره، وهو المستقلُّ بالخلق والرِّزق والتَّصرُّف، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى أَحۡيَاكُمۡ﴾؛ أي: خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئًا يُذكر، فأوجدكم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ﴾؛ أي: يوم القيامة[2].

غرض التّعبير بالجملة الاسميّة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى أَحۡيَاكُمۡ﴾:

ثبوت صفة الإحياء لله، فلا يحيي الموتى أحد سواه

يفيد التَّعبير بالجملة الاسميَّة معنى الثُّبوت والاستقرار، وهذا مناسب تمام المناسبة في هذا السّياق، إذ الغرض منه تأكيد قدرة اللّه تعالى على الخَلْق والإحياء والإماتة، وشمول رحمته بخلقه بَرِّهم وفاجرهم، والمناسب في المقامات التي تتطلَّب تأكيدًا التَّعبيرُ بالجملة الاسميَّة[3]؛ إذ إنَّها تفيد الثُّبوت بأصل وضعها[4].

فقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى أَحۡيَاكُمۡ﴾ قضيَّة قالها الخالق ﷻ ولم يدَّعها أحد لنفسه مع كثرة الكفّار والملاحدة والأفّاقين في كلِّ زمان ومكان، لم نسمع مَن ادَّعَى مسألة الخَلْق، وهذه قضيَّة يجب أن نقف عندها وأن نبحث: لماذا لم يظهر مَنْ يدَّعي ذلك؟ وإذا لم يَدَّع الخَلْق أحدٌ، ولم يدَّع الإحياء أحد، فمَنْ - إذن - صاحب الخَلْق والإحياء والإماتة؟ إنَّه اللّه، ولا أحد غير اللّه[5].

فائدة تعريف طرفي الإسناد:

لا يقدر على إحياء الأموات وبعثهم إلّا الذي مِن التُّراب خلقهم

في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى أَحۡيَاكُمۡ﴾ تعريف لطرفي الإسناد: المبتدأ بالإضمار: ﴿وَهُوَ﴾، والخبر بالموصوليَّة: ﴿ٱلَّذِى﴾، ويُستفاد

(1) أبو موسى، خصائص التراكيب، ص: 305، وحسن، بلاغة اللغة: 1/ 433.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن: 5/ 451.
(3) جامعة المدينة، البلاغة، المعاني: 1/ 305.
(4) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص: 67.
(5) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 16/ 9918.

مِن تعريف الطَّرفين معنى القَصر مع إفادته تقوية الإسناد وتوكيده، والقصر هنا قصر حقيقيٌّ، فلا أحد يحيي ويميت إلّا الله سبحانه، وهذا من جملة المؤكِّدات التي زخرت بها الآية الكريمة.

بلاغة الإدماج في الاستدلال على البعث:

لـــولا الآخـــرة نعـمة عظيمة لـكـانـت الـدنيـا نقمة ذميمة

في هذه الآية تذكير للنّاس بتلك النِّعمة الكبرى، نعمة الحياة، فقد كان النّاس عدمًا، أو ترابًا في هذا التُّراب، ثمَّ إذا هُم هذا الخلق السَّويُّ العاقل، المدبِّر، الصّانع! ثمَّ إذا هُم تراب مرَّة أخرى، ثمَّ إذا هُم يلبسون حياة لا موت بعدها، وبهذه الحياة تتمُّ النِّعمة: نعمة الحياة.

ذلك أنَّه لو كانت الحياة الدُّنيا هي كلَّ حياة الإنسان لكانت نعمةً ناقصة، بل إنَّها تكون نقمة لما فيها من معاناة، وأعباء، وشدائد، يلتقي بها الإنسان في مسيرة الحياة الدُّنيا، من المولد إلى الممات[1].

والمعنى أنَّ مَن سخَّر لكم هذه الأمور، وأنعم عليكم بها فهو الذي أحياكم فنبَّه بالإحياء الأوَّل على إنعام الدُّنيا علينا بكلِّ ما تقدَّم، ونبَّه بالإماتة والإحياء الثّاني على نعم الدّين علينا، فإنَّه ﷻ خلق الدُّنيا بسائر أحوالها للآخرة، وإلّا لم يكن للنِّعم على هذا الوجه معنى.

يبيِّن ذلك أنَّه لولا أمر الآخرة لم يكن للزِّراعات وتكلُّفها ولا لركوب الحيوانات وذبحها إلى غير ذلك معنى، بل كان تعالى يخلقه ابتداء من غير تكلُّف الزَّرع والسَّقي، وإنَّما أجرى الله العادة بذلك ليعتبر به في باب الدّين[2].

فالحاصل أنَّ هذه الآية الكريمة وإن كانت للاستدلال على البعث وإثبات قدرة الله سبحانه على التَّصرُّف التّام ففيها إدماج

(1) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 9/ 1091.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/ 248.

للامتنان ضمن الاستدلال، فلولا الآخرة لما كانت الدُّنيا، ولو لم تكن آخرةٌ لكانت نِعم الدُّنيا ناقصة! فلله الحمد سبحانه.

معنى ﴿ثُمَّ﴾ في المرّتين:

أنظر الله عباده ليؤمنوا ويتوبوا، وأنـــذرهـــم ليرعَووا ويثوبوا

﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف يفيد التَّرتيب والتَّراخي، ومعنى التَّراخي: المهلة[1]، وقد استُخدِمت في هذا السّياق للمعنى نفسه، ففترة ما بين الحياة والموت ليست قصيرة يعمل فيها ما يحاسب عليه بالعقاب أو الثَّواب، وكذلك الفترة بين الموت والحياة الثّانية[2]، فكلُّ مرحلة من تلك المراحل تترتَّب على سابقتها بتراخٍ ومهلة.

نكتة العدول عن الماضي إلى المضارع في الآية:

تمَّت نعمة الله عـلى الـنّـاس بـالإحـيـاء؛ لينعموا بما أُعِدَّ لهم من الآلاء

في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاكُمۡ﴾ أوثر الفعل الماضي بعد الفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ﴾ لدَلالة الماضي على التَّمام والحدوث؛ إذ إنَّ الكلام موجَّه إلى أحياء يعقلونه، فقضيَّة إحيائهم إلى حين بلوغهم لحظة توجيه الخطاب إليهم أمرٌ قد تمَّ وانتهى[3]، أمّا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ﴾ فقد أوثِر استخدام المضارع الدّال على التَّجدُّد والتَّكرير، ففي كلِّ لحظة تموت نفس، ويشيِّعها المخاطَبون، فهُم يرون ذلك أمامهم متجدِّدًا ومتكرِّرًا[4].

ومن هنا "يلاحظ اختيار الصّيغ المناسبة للتَّعبير، فهو أوَّلًا عبَّر بالماضي لأنَّه تمَّ وحدث، ثمَّ أشار إلى المرحلة المرتقبة وهو الموت، ثمَّ الحياة الجديدة في عالم الآخرة".

ولمّا كان الخطاب مسوقًا في مقام الامتنان والتَّذكير بالنِّعم، وكان قد سَبق هذه الآيةَ كلامٌ سامٍ بليغٌ عن تسخير الله تعالى ما في

(1) ابن يعيش، شرح المفصل: 5/ 13، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 237.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 5022.
(3) الشّهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 6/ 311.
(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 5022.

الأرض والفُلك وإمساك السَّماء وغير ذلك من المنن العظام والنِّعم الجسام ناسب أن يكون التَّعبير بالماضي مبالغة في الامتنان، فالمعنى أنَّ الله تعالى هو الذي قد منَّ عليكم بالحياة لتنعموا بما سخَّر لكم، فتمَّت نعمة الله عليكم بالإحياء لتنعموا بما أُعِدَّ لكم من الآلاء.

فائدة التّرتيب في ذكر مراحل الحياة والموت:

لا اختيار للإنسان في بعثه ولا إيجاده، وهو سائر قهرًا إلى ميعاده

قوله تعالى: ﴿أَحۡيَاكُمۡ﴾؛ أي: أوجدكم بعد العدم، وعبَّر عن ذلك بالحياة؛ لأنَّ الإنسان قبل ذلك تراب، فهو جماد بلا روح، ثمَّ أحياه بنفخ الرّوح، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ﴾؛ يعني: الموت المعروف ﴿ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ﴾؛ يعني: البعث[1]، فالإحياء الأوَّل هو الإنشاء، والإحياء الثّاني هو البعث من القبور[2].

والحاصل أنَّ الله سبحانه قد ذكر فضله تعالى، وهو المنشئ المنعم في ثلاثة أدوار:

الدَّور الأوَّل: أنَّه هو الذي أمدَّنا بالحياة ذاتها فأخرجنا من التُّراب، ثم من نطفة، إلى أن جعلنا في أحسن تقويم، وأمدَّنا بما يبقي حياتنا من نبات وثمار، وحيوان يأكل ممّا تنبت الأرض، وعبَّر سبحانه بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاكُمۡ﴾ وقد أشار ﷻ إلى عناصر الحياة التي تمدُّها بالبقاء بإرادته في آيات أخر.

الدَّور الثّاني: الموت، بعد أجل مسمًّى من ابتداء الحياة، وهذا محسوس مرئيٌّ يحدث كلَّ يوم، ولذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ﴾ وقد عبَّر بالمضارع؛ لأنَّه مستمرٌّ متجدِّد يُرى كلَّ يوم، ولا يرتاب فيه مرتاب، لأنَّه مرئيٌّ بالعيان.

الدَّور الثّالث: الحياة بعد الموت، وهو البعث والنُّشور، وقد عبَّر ﷻ عن ذلك الدَّور بقوله: ﴿ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ﴾ وعبَّر بالمضارع؛ لأنَّه واقع

(1) ابن جزي، التسهيل: 2/ 45.
(2) السمعاني، تفسير القرآن: 3/ 453.

في المستقبل يؤمن به مَن يؤمن بالغيب، ومَن يعلم أنَّ الإنسان لم يُخلق عبثًا[1].

نكتة الفصل في: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ﴾:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ﴾؛ أي: إنَّ ابن آدم لَجَحود لنعم الله عليه، إذ يعبد غير من أنعم عليه بهذه النِّعم المذكورة وبغيرها[2].

قطع وصل الجمل بالفصل فيه تنبيه لبني الإنسان لإدراك مدى شناعة الكفران

والجملة استئناف ابتدائيٌّ لتصوير مدى جُحود الإنسان وإعراضه عن شكر ربِّه وتوحيده، فخيرُ الله إلى الإنسان نازل، وشرُّ الإنسان إلى السَّماء صاعد، وقطعُ وصل الجمل بالفصل فيه تنبيه للسّامعين ليدركوا مدى شناعة الكفران!

فائدة تذييل الآية بوصف ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ بأنّه ﴿لَكَفُورٞ﴾:

لا يعرف الإنسان نعمة الإنشاء المبدئ للوجود، ولا الإفناء المقرِّب إلى الموعود

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ﴾ تذييل يجمع المقصد من تعداد نعم المُنعم بجلائل النِّعم المقتضية انفرادَه باستحقاق الشُّكر واعتراف الخلق له بوحدانيَّة الرُّبوبيَّة[3].

ففي تعقيب النِّعم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ﴾ تنديدٌ بجحود الإنسان وكفره وتعاميه عن آثار عظمة الله سبحانه، وشكِّه في قدرته ومطلق تصرُّفه ﷻ أمام ساطع الآيات وباهر البراهين، ذلك أنَّه لم يؤدِّ مطلوب الله منه في هذه الحياة الدُّنيا، الموصولة بالحياة الآخرة[4]، ولم يوجِّه همَّه إلى كلِّ هذه الآلاء التي يتقلَّب فيها ليلَ نهار، بل جحدها وجحد خالقها على وضوح أمرها، وعبد غيره، وجعل له الأنداد من الأصنام والأوثان[5]، ففي هذا زجر عن الكفران بطريق التَّوبيخ[6].

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 5022.
(2) مكي، الهداية: 7/ 4928.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 326.
(4) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 9/ 1092، ودروزة، التفسير الحديث: 6/ 71.
(5) المراغي، تفسير القرآن: 17/ 138.
(6) النيسابوري، غرائب القرآن: 5/ 99.

فائدة تتابع المؤكّدات في فاصلة الآية:

إنَّ الإنسان لجَحود لما أفاض ربُّه عليه من ضروب النِّعم ودفع عنه من صنوف النِّقم

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ﴾ عدد من المؤكِّدات، وهي: حرف التَّوكيد ﴿إِنَّ﴾، وهو يقوم مقام تكرير الجملة مرَّتين، واللّام المزحلقة الدّاخلة على الخبر: ﴿لَكَفُورٞ﴾، والجملة الاسميَّة المفيدة الثُّبوت، وهو ضرب من التَّوكيد.

ولمّا كان المشركون - وهم كثيرون - لم يؤمنوا بالبعث وكفروا به؛ أكَّد الله كفرهم؛ لأنَّهم لا يؤمنون إلّا بالأمر المحسوس، وإنَّما ذلك أمر مغيب، والفرق بين الكافر والمؤمن أنَّ المؤمن يؤمن بالغيب، والكافر لا يؤمن إلّا بالحسِّ، وقد أكَّد سبحانه كفر الكافر بالغيب أوَّلًا بـ﴿إِنَّ﴾، وثانيًا بـ(اللّام)، وثالثًا بالصِّفة المشبَّهة: ﴿لَكَفُورٞ﴾[1]، أو أنَّ هذا التَّوكيد لتنزيلهم منزلة المنكر أنَّهم كفّار[2].

معنى (أل) في ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾:

وصف الجنس بأغلب الأفراد لا ينافي خروج بعضهم عن المراد

التَّعريف في ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ تعريف الاستغراق العرفيِّ المؤذِن بأكثر أفراد الجنس من باب قولهم: جمع الأمير الصّاغة؛ أي: صاغة بلده، وقوله تعالى: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٣٨﴾ [الشعراء: 38]؛ أي: سحرة البلدة.

وقد كان أكثر العرب يومئذ منكرين للبعث، أو أريد بالإنسان خصوص المشرك كقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيّٗا ٦٦﴾ [مريم: 66][3]، وهو الذي لا يؤمن بالغيب[4].

فالحاصل أنَّه إمّا أن يكون هذا التَّعريف لوصف الجنس بوصف بعضِ أفرادِه، ولا ينافي هذا خروج بعض الأفراد عن هذا الجحد؛ لأنَّ المراد وصف جميع الجنس بوصف مَن يوجد فيه ذلك

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 5022.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 326.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 326.
(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 5022.

مِن أفراده مبالغة؛ لأنَّ الغالب على الإنسان كُفر النِّعم، كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: 13]، وإمّا أن يكون ذلك لخصوص الكافر بالقرينة[1].

دلالة التّعبير بـ﴿لَكَفُورٌ﴾ مادّة وصيغة:

الإنسان بليغ في الكفر، كثير الجَحد قليل الشُّكر

الكفور: مبالغة في الكافر؛ لأنَّ كفرهم كان عن تعنُّت ومكابرة، ويجوز كون الكفور مأخوذًا من كُفر النِّعمة، ويكون معنى ﴿لَكَفُورٌ﴾؛ أي: لبليغ الكفر حيث لم يشكر على هذه النِّعم المحيطة به فيوحد الله تعالى، وتكون المبالغةُ باعتبار آثار الغفلة عن الشُّكر، وحينئذ يكون الاستغراق حقيقيًّا[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الظّلم والكفر:

مَن وضع شيئًا في غير موضعه فقد ظَلم، وأصلُ الكُفر السّتر والتغطية

أصل الظُّلم وضعُ الشيء في غير موضعه تعدّيًا[3]، والمعنى المحوريّ لجذره: حَجب ما ينبغي أو ما يُستحَقّ أي منعه أو انتقاصه؛ والظُّلم من ذلك.

فالجَور على حقوق النّاس هو منع لهم من حقوقهم[4].

والمعنى في قول الله ﷻ: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: 34] أنَّ الإنسان يظلم النِّعمة بإغفال شكرها، أو بوضعه إياها في غير موضعها، أو يظلم نفسَه بأن يُعرِّضها للحرمان[5]، أو ظلوم: شاكرٌ غيرَ مَن أنعم عليه؛ فهو بذلك واضعٌ الشكرَ في غير موضعه، وذلك أنَّ الله ﷻ هو

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 93، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 118، والبروسوي، روح البيان: 6/ 57، والشوكاني، فتح القدير: 3/ 551، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 185.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 326، والخطيب الشربيني، السراج المنير: 2/ 564.
(3) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، المقاييس، والراغب، المفردات: (ظلم).
(4) محمّد جبل، المعجم الاشتقاقي: (ظلم).
(5) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 200، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 50.

الذي أنعمَ عليه بما أنعم، واستحقَّ عليه إخلاص العبادة له، فعبد غيره وجعل له أندادًا ليضلَّ عن سبيله[1].

أمّا الكُفْر فأصله: السّتر والتغطية، ووُصِف الليل بالكافر لستره الأشخاص، والزارع لستره البذر بالتراب[2]، ومن ذلك الأصل الكافر بالله ﷻ؛ لأنه غطَّى في نفسه بعماه شواهدَ وجود الله وعظمته الظاهرة والباطنة، أو تغطَّى عنها[3]، والكُفر نقيض الإيمان[4]، وسُمّي بذلك لأنه تغطيةُ الحقّ[5]، والكُفر أيضًا: جُحود النّعمة، وهو نقيض الشُّكر[6]، وكُفْرُ النِّعمة وكُفْرانها: سترُها بعدم أداء شكرها؛ لأنَّه إذا ذكرها نوّه بذكرها فأظهرها، وإذا كتمها ولم يشكرها فقد سترها وغطّاها[7].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 16، والواحدي، البسيط: 12/ 483، والبغوي، معالم التنزيل: 4/ 354.
(2) ابن فارس، المقاييس، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (كفر).
(3) محمّد جبل، المعجم الاشتقاقي: (كفر).
(4) الخليل، العين، والأزهري، التهذيب، وابن فارس، المقاييس: (كفر).
(5) ابن فارس، المقاييس: (كفر).
(6) الخليل، العين، والأزهري، التهذيب، والجوهري، الصحاح: (كفر).
(7) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (كفر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والثلاثون،
سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 35 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-77-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 35 : المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-77-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984898 بتاريخ 2024/11/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»